

الام ينبوع للعطاء بلا مقابل

المعاقون..تحت رحمة الامهات ونظرة المجتمع السطحية واحتياجات لا نهاية لها

شاهدتها تمشي تسرح بخيالها موجودة وغير موجودة تتكلم وفكرها بعيد تبدو حزينه واغرقت عيناها بالدموع وهي تنظر للآخرين ولا تجدد نظرها لشيء بعينه وتسير بسرعة نحو المنزل وكأن الذي ينتظرها هناك لا يحتمل التأخير، تملكنتي الرغبة لمعرفة ما يدور بخاطرها، أحببت أن اعرفها أكثر اقتربت منها وسألتها بخجل عن سبب حزنها وشرودها ؟ لم تجيبني اولا عن سووالي ودارت بوجهها عني غيراني قلت اني صحفيا واريد ان اكتب موضوعا عن هموم الامهات بسبب الابناء ، أجابتني بحسرة تعصر قلبها ”لا يوجد اغلى من الابناء على قلوب الامهات فابني حبيبي كل ما املك هو سبب همي وحزني“ فقلت لها بفصول ”هل أزعجك؟ هل أساء معاملتك؟ هل أخطأ في حقك؟“.. أجابتني ”لا ولكن كنت أتمنى أن يفعل ذلك فانا أم وسأعفر له خطاياه“.

فزادت عندي الرغبة بالسؤال وقلت لها”إذن هو المرض؟“ أجابت بحسرة ”انه موجود وغير موجود يعيش ولا يأخذ شيء من الحياة لم يعيش لحظة الحزن ولا الفرح، هانم بعالم لا نعرف له حدود شارد لا يتكلم وان تكلم لا نميز كلامه نطمعه وهو لا يحس بالجوع وتتوقف عن إطعامه وهو لا يحس بالشبع“.. (انه معاق ذهنيا.

” جريدة العراقية ” كان لها وقفة للتعرف على بعض هموم تلك الفئة المظلومة اجتماعيا واجرت التحقيق التالي.

الحرائذ - فيصل سليم

وحيدا..لاصديق ولا حبيبة ولا غد ينتظره
فقلت لها ”هل هذا لغز؟“ قالت ”لقد كنتُ عليه الوحدة، لا صديق له، ولا حبيبة وليس له غدر يعيش لاجله، و حزني يكبر كل يوم عندما أرى ولدي يتقدم به العمر وتكثر احتياجاته وأنا تقل قدرتي على العمل“..

فأدركتُ ما تتكلم عنه، إنها مأساة وجود إنسان من ذوي الاحتياجات الخاصة في الأسرة مصاب بالشلل الدماغي..عندها أحسستُ بحجم مسؤوليتها و سبب شرودها وحزنها وألمها.

مليون ونصف المليون مصاب !!

مصطلح (ذوي الاحتياجات الخاصة) يشمل (الأشخاص الذين يعانون من حالات ضعف معينة تزيد من مستوى الاعتماد على الآخرين لديهم وتحد من قدرتهم أو تمنعهم من القيام بالوظائف المتوقعة ممن هم في مثل عمرهم بشكل مستقل).

تقدر نسبتهم بحوالي 10٪ من سكان العالم 80٪ منهم يعيشون في دول العالم الثالث.

وتعتبر ظاهرة ذوي الاحتياجات الخاصة أو ما يعرف بـ (المعاق) سابقا، واحدة من جملة المشاكل التي يعاني منها مجتمعنا العراقي إلى الحد الذي وصل عددهم إلى أكثر من المليون ونصف المليون مصاب،حيث يحتل العراق مركزا متقدما جدا بين دول العالم ولعله من أكثر البلدان التي تزداد فيه معدلات الإصابة بشكل يومي وكبير.

ففي كل صباح يتحول العديد من الأصحاء إلى معاقين وهذا يبين حجم المأساة التي يمر بها العراق من جراء الحروب وأعمال العنف والتفجيرات اليومية، وكذلك الألغام الأرضية المعرضة للانفجار والتي تقدر بحوالي 25 مليون لغم زرع في أراضيه أي بواقع لغم لكل عراقي تقريبا بدل قطعة ارض سكنية أو دار لكل عراقي،فضلا عن المشاكل الاجتماعية الأخرى .

ان مؤشرات نجاح أي دولة في العالم يقاس بحجم الاهتمام الذي توليه لذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، ومدى قدراتها على إدماجهم فيه، وقد لوحظ زيادة الاهتمام العالم بأجمعه بهذه المسألة واعتبارها احد أهم المسائل الاجتماعية التي تستوجب المواجهة والمعالجة الفعالة للوقاية.

هياكل عظمية عارية مربوطة على الارض

إلا أن الحال لدينا يبدو مختلفا، وذلك بعد اكتشاف

صور الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في دار الحنان لرعاية الأيتام و الذي عثر فيه في العاشر من يونيو/حزيران 2007 على 24 صبيا، تتراوح أعمارهم بين سن الثالثة والخامسة عشر، عبارة عن هياكل عظمية، عارية، مربوطة باوتاد واصفاد على الأرض إلى وهم عراة، حيث كانوا لا يستطيعون الوقوف على أرجلهم بسبب سوء التغذية في حين كان مخزن الملجأ للدار مكدسا بالأطعمة والألبسة التي كان يمكن استخدامها لإعانتهم في الملجأ، وهذا يعد دليلا على الإهمال الذي تعانيه هذه الشريحة من المجتمع في العراق ومن قبل الجهات المسؤولة عنهم، ولعل مسألة العناية بذوي الاحتياجات الخاصة تعتبر من المسائل التي تدخل في صميم حياة أية أسرة لديها مصاب وهي ليست بالأمر السهل، فهو يحتاج إلى جهد وعناية خاصتين ومقدار الجهد يعتمد على نوع الإصابة والتي تختلف من حالة لأخرى.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو هل مسؤولية

ظاهرة ذوي الاحتياجات الخاصة أو ما يعرف بـ (المعاق) واحدة من جملة المشاكل التي يعاني منها العراقي حيث وصل عددهم إلى المليون ونصف المليون مصاب

العناية بذوي الاحتياجات الخاصة هي من مسؤولية الأسرة أم الدولة؟ حيث نص القانون العراقي رقم 126 لسنة 1980، في مادته 45 على أنه: (لكل معوق حق التأهيل والرعاية، وتؤدي الدولة هذه الخدمات دون مقابل).

عائلة واحدة وثلاث مشلولين دماغيا...!!

التقيت بأسرى لديها ثلاث مصابين بالشلل الدماغي وهم الابن الأول (ماهر تولد 1973) مصاب بتخلف عقلي شديد مع نوبات صرع متكررة وعاجز كليا والابنة الثانية (هبة تولد1989) مصابة بتخلف عقلي شديد مع شلل رباعي وعاجزة كليا والابنة الثالثة (سهى تولد 1992) مصابة بتخلف عقلي شديد مع شلل رباعي وعاجزة كليا أيضا وذلك حسب التقارير الطبية التي شخصت حالتهم. طرحت عدد

من الأسئلة لمعرفة مدى صعوبة التعامل مع تلك الحالات وكيفية القيام بتلبية حاجاتهم في حالة عدم توفر مراكز متخصصة لرعاية المصابين أو دور لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من قبل الدولة. حول اللحظات الأولى لسماع الأم إن طفلها سيكون من ذوي الاحتياجات الخاصة، قالت: ”لقد كنت سعيدة جدا إثناء ولادة طفلي الأول وكذلك العائلة، واخترنا له الاسم وفكرنا بكل سوى أن يكون طفلي يشبه هؤلاء الأطفال الذين كنا نشاهدهم يتجولون أحيانا في الطرقات ويلفنون الأنظار، لقد كانت لحظات قاسية جدا وصعبة علي فلن اتصور اني ساتقبل ان اعيش تلك المشاعر الحزينة فهي بين الرفض والقبول للواقع وبين عاطفتي كأم وهو طفلي جزء مني وباجة إلى حناني وعطفي،عانيت كثيرا لتقبل الواقع والتكيف مع الوضع الجديد والتعامل معه، وقد كانت عاطفة الأمومة اقوي من أي شيء آخر، فاحتضنته في صدري وقلت هذا هو قدرى، ولكن تكررت نفس الحالة ونفس المعانات عند ولادتي لشقيقتيه، وهنا أصبحت الأمور أكثر صعوبة بعد ولادتي الثالثة بفتاة معاقة ايضا حيث يوجد ثلاث أشخاص بحاجة إلى نفس الرعاية والمتابعة والاهتمام وقد تكون أكثر لإحداهم، فهي طريحة الفراش لا تقوى على أي شيء“.

تنازلت عن حقها بالزواج لرعاية أشقانها...!!

وفيما إذا كانت الأم هي من تتولى العناية بهم وعن دور الأسرة قالت ”الآب أيضا يؤدي نفس دوري إن مرضتُ أو اضطررت للغياب عن المنزل فهو يدرك جميع احتياجاتهم، وأيضا الأخ والأخت، لقد ضحت الأسرة كلها براحتها في سبيل الاعتناء بهم، فليس من السهولة القيام بهذا العمل بمفردي، لقد فقدنا أشياء كثيرة بسبب الإصابة، فابنتي مثلا تنازلت عن حقها بالزواج لأنها تعلم ظروفنا ومقدار الجهد الذي نبذله في سبيلهم، لذلك فضلت عدم الاقتران بالزوج مضطرة للبقاء بجانبني ومساعدتهم“..

وعن إحساس المصاب حين المداعبة والشعور بخنان الأمومة وهل يتفاعل مع إحساسها او يميزها من غيرها من النساء،قالت ”إنهم يحسون بعاطفتي ويتفاعلون معها وقد تكون عاطفتهم أقوى من الناس الأصحاء،وليس أنا فقط من يبادلونه الحب، فهناك الأب أيضا، فهم متعلقون به جدا، وكذلك الأشقاء، ويسأل المصابون عن أي كل من غاب عن البيت ولو بالإشارات، مع أنهم لا نطق لهم ولا ذكرة“..

وبخصوص الكيفية التي تنظر الأسرة لواقعها، وهل هي حكمة الله أم قدر مفروض على الأسرة، قالت ”الأثنان معا، إنها حكمة الله ونحن نرضى بذلك، وهذا هو واقع الحال يجب أن نتلائم معه ونتعاون عائليا لمساعدتهم فهم لا ذنب لهم بذلك“.

نتمنى من المجتمع تقدير موقفنا

وفيما إذا كانوا يخجلون من إصابات أبنائهم وهل يحاولون إخفائها عن عيون الآخرين، قالت ”لا نخجل أبدا من وضعهم، ولكن أحيانا نسعى كلمات تؤذي مشاعرنا مثل (حرام ماذا بهم) (لماذا هم هكذا) (لماذا فعلتي أنتِ أو والدهم لكي ترزقون هكذا أطفال ؟) وغيرها ما يضطر إلى إبعادهم عن انظار الآخرين لتجنب تلك العبارات، وأيضا حالتهم الصحية لا تسمح لهم بالاختلاط مع الآخرين كثيرا، لعدم مقدرتهم على التكيف مع بقية الأشخاص بأنفسهم، و قسم من الناس بكل بساطة يصفونهم بـ (الجنون) ونحن لا نقبل أن نتعرض لمثل تلك المواقف... نحن نفهم إن من هم بعمر ابني وهو تولد 1973 هم الآن رجال متزوجون ويعملون ولهم أطفال، أما ابني فقد حرم من كل شيء، ولكننا راضون بذلك، ونتمنى من بقية الناس تقدير موقفنا وموقف أبنائنا فهم لا ذنب لهم بذلك“.

وفيما إذا كانت الأم تشعر بالذنب تجاه أ لفا لها لإتجابها أطفالا باحتياجات خاصة، قالت ”لا أبدأ، ليس لي ذنب بذلك، فانا من يدفع ثمن عاهاتهم منذ أكثر من 35 عاما، قد يكون السبب شيء بسيط ونحن لم نحسب له، لقد

ترزجتُ من ابن عمي، ويقال إن جزء كبير من سبب الإصابة هي نتيجة ذلك الزواج (وراثه) قديمة ، ولكننا لم نفكر بذلك عند الارتباط، ونعتقد إن القدر له دور أحيانا في ذلك“.

وعن اشد المواقف إيلاماً لها كأم وعن أكثر موقف أحزنها، قالت ”إننا أسرة لنا مشاغلنا وأمورنا اليومية، يحدث أحيانا أن انشغل بأمور أخرى غير أبنائي المصابين، مثل الأعمال المنزلية فأعود و أجد احدهم قد سقط على الأرض وأصيب بجروح عديدة ونزف دموي فأساعده على النهوض وأنظف جرحه وأضمده فألوم نفسي على ذلك لكوني قد أهملته قليلا، أما هو فلا يشعر بشيء. وأحيانا عندما أرى آخرين في مثل عمرهم سالمين أصحاء يمارسون حياتهم الطبيعية بكل حرية وبلا احتياج وأنا أبنائي محرومين من كل شيء كالتعليم والعمل، وأيضا لا يستطيعون مساعدة والدهم في تمشية أمورنا المعاشية، وأنداك أشعر بيني وبين نفسي بإحباط مدمر وقاتل“..

طفل معاق أفضل من عدم وجود طفل...!!

وفيما إذا كانت تفضل أن يكون لها طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة أو أن لا يرزقهم الله بأطفال، قالت ”بالتأكيد وجود أطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة أفضل بكثير من عدم أنجاب أطفال مهما كان وضعهم، أنا أحب أطفالي بشكل كبير جدا، رغم

نسمع كلمات تؤذي مشاعرنا مثل:(احرام ماذا حل بهم) و(لماذا هم هكذا) وماذا فعلتي أنتِ أو والدهم لكي ترزقون هكذا أطفال ؟)،ما نضطر إلى إبعادهم عن انظار الآخرين

إنني أعاني كثيرا، ولكن الأهم لدي أطفال اعطني بهم، كما إننا لا ننظر إليهم كمصابين فقط، بل انتم أو المجتمع تتعاملون معهم هكذا، إنهم أبنائي ولا فرق بينهم وبين أبنائي الأصحاء، لقد تعودنا على وضعهم وعلى أصابهم وأيضا على انشغالنا بهم كل الوقت وليس كل أطفال مصابين أنها نعمة أيضا يجب أن لا أنكرها“.

متابعة خاصة للفتاة بعد البلوغ...!!

وعن الاختلاف في تربية الفتاة ذات الاحتياجات الخاصة عن الشاب، قالت ”بصراحة، بعد بلوغ الفتاة تصبح العناية بها أصعب بكثير، وتحتاج إلى رعاية خاصة ومتابعة خاصة، بالإضافة إلى المتابعة اليومية لها، ينبغي الحفاظ عليها ومراقبتها، كونها لا تعرف ما هو المسموح به من غير المسموح ولا تجيد معرفة حدود التعامل مع الآخرين، لأنها غير مدركة بالأعراف الاجتماعية السائدة لدينا“.

تساءل:المصابون لا يستحقون معونات شبكة الرعاية الاجتماعية، من يستحقها إذن؟!!

وبخصوص ما حصل من مضاعفة في مسؤولية الأم بوجود ثلاثة أشخاص من ذوي الاحتياجات



الخاصة في حياتها، ختمت ضيفتنا حديثها بالقول "قد لا يخفى على أحد الصعوبات التي تواجهها الأسرة إن ظهرت هكذا حالة بها، حيث تتضاعف الصعوبات بوجود أكثر من مصاب، فنحن لنا متاعب عديدة سواء نفسية أو جسدية، ونعمل اليوم بأكمله لتوفير احتياجاتهم والاعتناء بهم، وكذلك مراجعاتنا التي لا نهاية لها للأطباء لحاجتهم اليومية للأدوية ولمحاولة تحسين جزء بسيط من وضعهم ولكن بلا أي نتيجة تذكر، و أود أن أشير لمسألة اجتماعية مهمة حيث إننا محرومون من ابسط المشاركات الاجتماعية التي تقوم بها الأسر الأخرى، فمثلا لا نستطيع أن نؤدي واجباتنا الاجتماعية مع الأهل والأصدقاء وهذا ينسحب أيضا على الواجبات الدينية، إذ ليس بمقدورنا ممارستها لأنه بكل بساطة لدينا ثلاثة مصابين، أين لهم أن يقضوا احتياجاتهم إن كنا في مكان عام مثلا؟ أن العناية اليومية بهم من حيث النظافة وإطعامهم بأوقات محددة وبكميات محددة يوميا ولمدة 35 عاما ليس بالأمر اليسير أبدا، إضافة إلى المعاناة من الحالة الاقتصادية حيث كانت لنا ظروف صعبة جدا أيام الحصار الاقتصادي وقلة الرواتب، وانتهت تلك الظروف وتحسن الوضع، و لكن يبقى لنا عتاب بسيط على شبكة الرعاية الاجتماعية، فقد قمنا بتقديم عدة طلبات ولعدة مرات لغرض شمولهم بالمنح الشهرية المقدمة من قبل الشبكة ويتم رفض جميع الطلبات ولحد الآن بحجة عدم شمولهم بمنحة شبكة الرعاية الاجتماعية، وأنا أتساءل إذا كان ذوي الاحتياجات الخاصة غير مشمولين مع أنهم عاجزين وباجة إلى متابعة طبية مستمرة فمن يكون مشمول؟ هل الأصحاء.. لا اعلم؟“.

تضحيات بلا مقابل ...

إنها الأم التي من تمتلك القدرة على كل هذه التضحيات وبلا أي مقابل، وتكون أحاسيسها غرازها وعاطفة الأمومة هي زادها وقوتها لبدء كل صباح وكأنه اليوم الأول للاعتناء بهم وتلبية احتياجاتهم.. تمنح كل شيء إلى إنسان لم يساعده القدر حتى على تقدير تضحياتها، ولا يستطيع حتى شكرها بكلمة أو ابتسامة عابرة.. ومع هذا هي راضية بقدرها..

بلا شك إنها تستحق الاحترام والاعتزاز، وأيضا تستحق لقب (الأم المثالية) ليس لجهدنا فقط، بل لصبرها ومجالدتها.. ولا اعتقد انه من السهولة أن تنمحي صورة ابنها الشاب المصاب من مخيلة أي شخص شاهده، والذي كانت وضعيته صعبة جدا على أي إنسان، فما بالكُم بالوالدة التي لا اعلم مقدار حزنها وهي تراه بهذا العمر وهذه الوضعية.. ختما لابد من القول، إن المصاب إنسان قد يفقد شيء، ولكنه لم يفقد كل شيء، إذا وجد الاهتمام والرعاية من الأسرة وكذلك المجتمع، فهذا قد يساعده على تجاوز احتياجه وبالتالي الاندماج بالمجتمع، ويجب إن يكون الدور الأهم للدولة لمساعدتهم أولا بتوفير مراكز متخصصة للعناية بذوي الاحتياجات الخاصة ومنهم الشلل الدماغي وتأهيل كوادر مختصة لمساعدتهم وكذلك تخصيص رواتب مناسبة لجميع ذوي الاحتياجات الخاصة الذين ليس لهم القدرة على العمل لتقليل احتياجهم للعائلة، أما إذا كانت له القدرة على العمل فينبغي توفير فرص العمل له كي يتم تسريع اندماجه بالمجتمع.. وتبقى الاكتشافات الطبية الحديثة واعتماد الوقاية من هذه الإصابات هو الأمل لتجنب أسرة جديدة هذه المتاعب المريعة..